# الفصل الثانى

## الأوليجاكيون والديمقراطيـون

« التنظيم هو ، فى الواقع ، المصدر الذى يجعل العناصر المحافظة تطغو على شاطىء الديمقراطية ، محدثة تلك الفيضانات المشؤمة ، جاعلة الشاطىء مجهولا غير معروف » . Robert Michels (1962, p. 62)

اذا استطاعت الأمواج الأوليجاكية أن تعيد تنظيف جسور الديمقراطية فان هذه الاعادة الداخلية يمكن أن تحدث ـ فقط ـ بسبب رغبة البشر فى أن يعيدوا بناء هذه الجسور فى عناد بعد كل انهيار وغرق .
Alvin Gouldner (1955, p. 506)

obeikandl.com

obeikandl.com

## القـــانون الحديدى للأوليجاركيـــة
## The Iron Law of Oligarchy

ينظر الى القانون الحديدى لروبرت ميتشلز Michels باعتبـاره أكثر الافتراضات تدميرا فى كل العلوم الاجتماعية ، وتنهض تلك الرؤية الى هذا القانون انطلاقا **من انه ـ اى القانون الحديدى ـ يعمل على تقويض الاساس الخاص بكل من الديمقراطية الليبراليه ، والنظرية الماركسية ، وهو الأساس المحبوب بالرؤية التى ترى ان الديمقراطية تعد أمرا ممكن حدوثه فى العـالم الحديث** . ويرى ميتشلز Michels ـ تأكيـدا ـ لذلك ـ أن تحليل اعمال الحزب الاجتماعى الديمقراطى الألمانى SPD تبرهن لنا على ان التنظيمات ذات النطاق الواسع ، مثل هذا الحزب SPD **من الممكن أن يصيبها الانحلال بسبب النظم البيروقراطية التى تتحكم فيها الأقلية** . ولقد حدد ميتشيلز Michels (1962, pp. 61-80) **عددا من الأسباب الفنية والادارية للقيادة الأوليجاركية** Oligarchal Leadership فى التنظيمات السياسية التى تتسم بالكبر والاتساع ، وبين اكثر هـــذه التنظيمات اهمية **نجد الاسباب الآتية : أولا : النمو فى حجم الواجبات وفى تركيب** هذه الواجبات . وهى الواجبات التى **تحرم** الاشتراك المباشر فى المسائل الادارية عن **طريق العضوية** ، وتطلب **بدلا من ذلك هيئة متخصصة ثانيا : نمو حجم الاختلافات** ، وهى الاختلافات التى **ترمنع** بصورة حـادة **اشتراك الأعضاء فى اتخاذ القـرار بوجـه عـام** ، ومن ثم يـزداد تسلط القيادات المعروفة . ثالثا : هناك اعداد كبيرة من الأعضاء **يمنعون الاتصال المنتظم بين بعضهم البعض** ، الأمر الذى يساعد القيادة على ممارســة مبدأ فرق تسد divide et impera (Cassinelli, 1953, p. 781).

ولقد عنى ميتشيل Michels واهتم بمسألة زيادة حجم تقسيم

العمل داخل التنظيمات السياسية ، حيث نظر اليها باعتبارها من اهم العوامل الأساسية التى **تحول دون أن يكون للعضوية الجماهيرية اشتراكها الفعال فى العملية السياسية** ٠

وانه لمن المدهش أن نجد المثقفين فى الأحزاب السياسية والحركات المختلفة يشغلون أوضاعا بارزة : حيث انهم يملكون المهارات التى تجعلهم يرتبطون بالمطالب الأوليجاركية الخاصة بالتنظيم ذى السمات المعقدة ٠ ولهذا ، فانه بظهور القيادة المهنية Professional Leadership تتأكد حقيقة وجود التفاوتات الثقافية بين القادة والتابعين ٠ ولعل الخبرة الطويلة تكشف لنا عن انه من بين العوامل **التى تجعل للأقليات هيمنه على الاغلبية ، هى التعليمات الرسمية للقادة** ( والتى يمكن تسميتها باسم تفوق المثقفين Intellectual superiority ٠ ان هذه الكفاءة الخاصة Special Competence ، وهذه الخبره المعرفية التى يكتسبها القائد **ليست متاحة ، او** على الأغلب **ليست متاحة للجماهير** ، ومن المؤكد أن هذه الكفاءة ، وتلك الخبره تضفى على القائد **الاحساس بالأمان** بالنسبة للمنصب الذى يتولاه ، وهو الأمر الذى **يخلق الصراع بينه وبين المبادىء الاساسية للديمقراطية** ٠ (Michels, 1962, pp. 107-109-10)

وفى محاولته لتفسير قانونه الحديدى وشرحه ، راى ميتشيل Michels **أن المثقفين فى التنظيمات السياسية يتجهون نحو الاوليجاركيه** ٠ ولكن هذا التصور يبقى لاصحاب نظرية الصفوة او منظريها المعاصرين Contemporary elite Theorists مهمة رسم او تحديد التطبيقات الكامله لهذه المناقشات ٠ ولقد اكد لازويل Lasswell ان التحول الكبير فى زماننا **هذا هو انهيار التجاره ( والتشكيلات الاجتماعية المبكرة ) وظهور المثقفين وانصاف المثقفين** Semi-intellectuals **كقوة مؤثرة** (in Lasswell and Lerner, 1965, p. 85) ٠ وقد ميز لازويل Lasswell بين نمطين من **المجتمعات : النمط الأول** الذى يجعل طريق الحصول على القوة والثروة والاحترام والقيم الاخرى **امرا ميسرا بصورة كافية**

لمثقفين ، وهذا المجتمع ينهض على أساس الاندماج مع الحزب الثورى وهو الحزب الذى يعمل على تطوير ثرواتهم ، اما **النمط الثانى** ، فيتعلق بتلك الدول أو المجتمعات التى **تلاحظ عليها تأخرا واضحا عن تلك العملية** ( يقصد بالنسبة لوضع المثقفين والمزايا التى تمنح لهم – المترجم ) ، ومن ثم يتولد استياء تراكمى accumulated resentment الذى يؤدى بدوره الى الانفجار (Ibid., pp. 86-89) . ونلاحظ ان مثقفى المجتمعات **الأخيرة على درجة عاليه من سوء التكامل** ، كما انه – خلال تلك المجتمعات – نجد ان التطور خلال الحراك المهنى او خلال الديمقراطية المثلة **يعد أمرا منكورا غير معترف به** ، ومن ثم فان المثقفين يجمعون أنفسهم للاستيلاء على القوة عن طريق الايديولوجية الاستبدادية التى يحققها العنف السياسى . Political Violence (Lerner in ibid, p. 459)

ان وجهة النظر التى تذهب الى أن الهزات الثورية فى كل من روسيا والصين فى القرن العشرين سوف تعتمد على ثورات العمال أو الفلاحين ، هذه الرؤية تعوزها فى الواقع الدقة والصدق . ان هذه الهزات الثورية كانت بالعكس عبارة عن تغييرات غير دستورية تعتمد على العنف Coups d'état وهى فى الآن نفسه ظواهر للثوره الدائمة للمثقفين المحدثين الذين يمنحون عالم النظم الاستبدادية حياته أو ميلاده .

لقد أثارت أعمال كل من ميتشيلز Michels، ولازويل Lasswell وكثير من أتباعهما ، تساؤلين مرتبطين بالقضية الرئيسية لهذا الكتاب وهى : « **العلاقة بين الوضع الاجتماعى للمثقف فى العصر الحديث وبين رؤاه السياسية** . » ، وهذان التساؤلان هما :

**أولا** : هل يستطيع القانون الحديدى للاوليجاركية – كما حدده ميتشيل Michels ان يظهر لنا تلك العلاقة بوضوح ؟ وبعبارة أخرى ، هل هناك قوى اجتماعية تعمل على اعاقة القائد بوجد عام والمثقفين بوجه خاص من ان يصبحوا اوليجاركيين فى التنظيمات والنظم السياسية ؟ وفى

القسم الثانى من هذا الفصل سوف نؤكد أن الأوليجاركية ليست أمرا محتوما ، وان القوى المعارضة لها وجود ٠

**ثانيا : هل من الصواب ان نعلن ان الحركات القومية والاشتراكية والشيوعية فى الدول النامية تتسم بما يسمى بالتغييرات غير الدستورية العنيفة التى يقوم بها المثقفون** Intellectual Coups d'état **اكثر من سيادة الحركات الشعبية ، كما أن النظم التى تنشأ من خلال هذا الاسلوب ( يقصد الأسلوب غير الدستورى العنيف ـ المترجم ) هى فى حقيقة الأمر نظم غير ديمقراطية** undemocratic **فى كل مظاهرها ؟** (١٨) وهذه النظم تحكمها عادة الطبقات الحاكمة الاستبدادية المثقفة ٠

ولعله من اليسير أن نتبين أن كتابات لازويل Lasswell تعد تحولا عما اكده ميتشيل Michels ، ومن نقده المرير لكل التنظيمات والنظم السياسية واسعة النطاق ، حيث حاول لازويل Lasswell أن يقوم بعملية تقويم للتنظيمات السياسية والنظم الخاصة بالمجتمعات النامية ، وفى تصورى أن هذا التقويم أمر مؤكد ٠

وما يثيره لازويل Lasswell يزودنا فى الواقع بأحكام عن وضعية المثقفين ، وعن استعدادهم الايديولوجى فى المجتمعات النامية ٠ وربما يكون اكثر الأساليب ملاءمة لبلورة هذه القضية هو أن نولى ما اثاره لازويل اهتماما خاصا (cf. 1962, p. 66) ، ولا سيما فى **عرضه لوسائل تحقيق الديمقراطية** والتى يعنى بها نظام حكم الأغلبية ، وحقوق الاقلية ، وحيث يقوم الناخبون بانتخاب القادة ٠ وهنا يمكن القول **بأن الديمقراطية يمكن النظر اليها على اعتبار أنها ترتيب سياسى يؤكد أن مختلف قطاعات المجتمع ( الطبقة ، الاقليم ، الجماعات العرقية ) لها افضل المصالح التى يقوم على خدمتهـا المثلون** Representatives **، كما أن كل هذه القطاعات لديها القـدرة على التنافس للحصول على القوه ٠**

ان احدى المشكلات الهامة والمرتبطة بمفهوم **الأكثرية** والتى أريد أن

اؤكدها هى : التنافس بين مختلف القطاعات حتى فى الديمقراطيات الغربية ، يتسم بعدم التكامل بصورة أكبر مما يتصور معضدو الرؤية الخاصة بنظام الأغلبية فى مفهوم الديمقراطية ·
(Miliband, 1973, pp. 13-16).

ان النقود ، والوقت ، والتعليم ، والمصادر الأخرى ، لهى أمور مطلوبة للارتباط بشكل فعال بالسياسة الانتخابية ، ذلك فان العمال وبعض الفلاحين والفقراء والجماعات العرقية سيئة الحظ ، تعد فرصهم فى العملية الانتخابية بالغة الضآلة بالمقارنة بغيرهم · وباختصار فان اللامساواه الاجتماعية Social Inequality لها تأثير سلبى على تجريد العملية الديمقراطية من مضمونها Democratisation (Robinson and Quinlan, 1977)

واذا كانت المساواة الاجتماعية – الاقتصادية الكبرى Socio-economic equality يمكن النظر اليها باعتبارها الفكر الخاص بمتطلبات الديمقراطية (Cf. Bottomore, 1964, pp. 121 ff ; Caute, 1966, Mashall, 1965) ، فانه يتبع ذلك أن النظم التى تزود حكم الأغلبية وحقوق الأقلية ، والضوابط والتوازنات ·· الى آخره ، فانها غالبا ما تكون محض أغلفة سياسية ذات مذاق حلو Sweet Political Coatings على الأقراص الاجتماعية والاقتصادية شديدة المرارة Bitter socio-economic Pills ولاشك أن هذا لايعنى أن الديمقراطية السياسية تتحقق من خلالها بصورة حتمية المساواه الاجتماعية والاقتصادية الكبرى هذا ، فى الوقت الذى يظل فيه بعض الماركسين غير مستبصرين بالحقائق التى تغلف العالم الشيوعى ·

ولا شك أن هذا يعنى أن اى تعريف معقول للديمقراطية ينبغى أن يأخذ فى اعتباره كلا من : فكرة **السيادة السياسية الشعبية** Popular Political Sovereignty والسيادة الاقتصادية الشعبية Popular economic Sovereignty باعتبارهما متغيرين يمكن أن يختلفا فى الدرجة بصورة مستقلة Cf. ; Medvedev, 1975, esp. pp. 30-47

ولقد أكد لازويل Lasswell من خلال هذا الأسلوب **على أن المثقفين في الدول النامية يتجهون الى أن يصبحوا قادة الحركات غير ديمقراطية** Non-democratic movements **، كما أنهم ينزعون أيضا الى أن يكونوا حكاما لنظم استبدادية شمولية** Totalitarian Regimes وحتى اذا اتجه المثقفون نحو النزعه غير الديمقراطية Anti-democratism في المجال السياسى ، فانهم ـ اى هؤلاء **المثقفين ـ غالبا مايكونون فى طليعة الأفراد الذين يعملون من أجل تحقيق التحسينات فى الرفاهية الاجتماعية الاقتصادية فى الدول النامية ، فضلا عن محاولاتهم لزيادة السيادة الاقتصادية الشعبية والتوسع فيها** (١٩) • ومن المؤكد أن اللامساواه الاجتماعية Social Inequality تنهار تماما فى المجتمعات الثورية الكبرى ( اعتقد أنه يعنى مجتمعات مثل الاتحاد السوفيتى والصين ـ المترجم ) ، على الرغم من أن هذه الثورات تتسم ـ عادة ـ بالثبات أو الاستقرار فان كل هذه المجتمعات تتسم ـ بوجه عام ـ ووفقا لتقرير مجلس التنمية (Kelley and klein, 1977) كل هذه المجتمعات تتسم ـ بوجه عام ـ ووفقا لتقرير مجلس التنمية عبر البحار بواشنطن Overseas Development Council بأنها مستويات عليا ، و فبعض الحالات **أكثر سموا من المجتمعات الغربية فى** ضوء هذا البعد غير السياسى للديمقراطية •
Non-Political dimension of democracy

وحتى اذا قبلنا هذا التعريف الواسع للديمقراطية فاننا يتبغى أن نواجه القضية التى تؤكد **ان الثورات فى المجتمعات النامية هى فى الواقع تغييرات غير دستورية عنيفة ينهض بها المثقفون** Intelectual Coups d'état (٢٠) • لقد أمدنا لازويل Lasswell وزملاؤه وزملاته بمعطيات كمية تؤكد وجهة النظر السابقة • واذا ما درسنا هذه المعطيات بدقة ، ووضعت فى سياقها الصحيح ، فانه من الممكن الاعتماد عليها •

واذا أخذنا روسيا ـ مثلا ـ كحالة ، فسنجد ان أعضاء Politburo الذى بلغ عددهم ستة عشر عضوا منذ عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٥١ ، والذين لم يكن لهم اى اهتمامات حزبية قبل أن يكونوا أعضاء فى Politburo

هؤلاء كان ٦٣٪ منهم من العمال الصناعيين ، و ٣١٪ منهم كانوا أعضاء فى الطبقة المتوسطة الجديدة .
Schueller, in Lasswell and Lerner, 1965, p. 121).

وهناك دليل لايرقى اليه الشك على أن المثقفين قد سيطروا على المراكز العليا بالحزب الشيوعى السوفيتىCPSUومع ذلك فانه من الحقيقى – اذا رجعنا زمنيا الى الوراء – فنجد أن النسبة المئوية للمثقفين فى الحركة الثورية السوفيتية بوجه عام وفى الحزب الشيوعى Communist Party على وجه الخصوص ، هذه النسبة تتزايد بشكل ملحوظ ، حتى اذا ما أخذنا فى الحسبان الشبكةالعريضة ولم ندرس مجرد القمم القيادية . وهكذا فان ٥١٪ من عينة مقدارها ٢٢٤ من القيادات الشيوعية المتميزه فى العقد الأول من الحكم السوفيتى ، و ٦٣٪ من عينة أخرى مماثلة من ١٥٨ قائدا كانوا من ذوى التعليم الجامعى.(Mosse, 1968, p. 148 ; Davis 1929, p. 49)

ومن واقع العينات الكبرى للحركة الثورية ككل نلاحظ أن ٧١٪ من المساهمين فى هذه الحركة فى أعوام ١٨٦٠ – ١٨٦٩ كانوا من الطلبة والمهنيين ( عينة قدرهـا ١ر٢٥٦ ) . أما فى أعـوام ١٨٧٠ – ١٨٧٩ ، فقد كانت نسبتهم ٦٥٪ ( من عينة قدرها ٥ر٦٦٤ ) وبالنسبة لأعوام ١٨٤ – ١٨٩٠ كانت النسبة المئوية ٣٦٪ ( من عينة قدرها ٤ر٣٥٠٧ ) ، أما بالنسبة لأعوام ١٩٠١ – ١٩٠٣ ، فنلاحظ أن نسبة الطلبة والمهنيين المساهمين فى الحركة كانت تبلغ ٢١٪ ( من عينة قدرها ٧ر٧٩٦ ) . اما نسبة العمال والحرفيين والفلاحين المساهمين فى الحركة الثورية بالنسبة لكل فترة من هذه الفترات الأربع فقد كانت على التوالى : ( ١ ، ٢١ و ٢٣ ، و ٥٦٪) (Leykina Svirskaya, 1971, pp. 309-313-14, 317).

وهؤلاء الأشخاص قد لعبوا دورا هاما من خلال المثقفين فى الحركة الثورية الروسية ، وخاصة فى الأوضاع القيادية العليا ، وخاصة ايضـــا بالمقارنة بحركات الجناح اليسارى فى الغرب ، ورغم ذلك ، فـان هـذا يؤكد

وانه ليبدو واضحا أنه ليس هناك ضرورة لكى نبرهن على اننا نفكر فى خمس كـل المســاهمين • اذا اخذنا فى الحسبان أن عصــر ستالين Stalin قد شاهد حركة تطهير ضخمة للمثقفين فى الحزب ، وصـاحب ذلك حركة تحول لدرجات الحزب نحو البروليتاريا (Conquest, 1973) ، وانه ليبدو واضحا أنه ليس هناك ضرورة لكى نبرهن على اننا نفكر فى الثورة الروسية باعتبارها عملا فذا من انجازات المثقفين •

ويمكن ان تنطبق نفس الحقيقة على الثورة الصينية ، ففى هــذه الحالة نجد أن دور المتخصصين ( كالمحامين والصحفيين والمدرسين ) قد تقلص الى حد كبير لأن الجيش قد شكل أساسا حشديا للقيادة السياسية الراديكالية (North and Pool in Lasswell and Lerner,1965 ; p. 387) فضلا عن أعضاء Politburo فيما بين على ١٩٢١ ـ ١٩٤٥ :

**« ان هؤلاء الآباء الذين كانوا اما فلاحين أو بروليتاريا ، قد انبثقوا من الثلث الأول أو الثلثين الآخرين من هؤلاء الأفراد الذين أدينا عنهم بعض المعلومات • وبصفة خاصة ، ان الذى حدث يكمن فى ظهور قيادة الفلاحين • ولقد كان ظهور ماو Mao وامتلاكه للقــوة ، وظهـور المنــاطق الســوفيتية فى الأجزاء التى تقع خلف صفائح النهر ، هذا الظهور كان مصحوبــا باستبدال مثقفى الطبقة المتوسطة والطبقات العليا بأبناء الفلاحين • ( عن طريق الخط العسكرى ) •** (Ibid., p. 389)

لقد كان القادة المثقفون أكثر وضوحا فى بعض الحركات الثوريــة بالقرن العشرين اكثر من غيرها ، ولكن حتى فى هذه الحالات حيث كــان اشتراكهم معلقا (See Clif , (e.g. Cuba) 1973, Draper, 1961)

**فاننا ينبغى أن نكون حريصين على الا نثق أو نعتمد ـ بصورة متطرفة ـ على المعطيات الخاصة بالخصائص الاجتماعية للقادة السياسيين فى تقدير مدى شعبية Popularity أولا شعبية Non-Popularity هذه الحركات ،**

وما كتبه احد دارسى القيادة السياسية بالولايات المتحدة الاميركية يعطى بعض الملامح عن الأنظمة ذات الحزب الواحد : ( ولكن هذا لايعنى ان الدارس يقرر أن الولايات المتحدة الامريكية من الأنظمة ذات الحزب الواحد ـ المترجم ) ٠

« **انه من الخطأ ان نفترض أن الجماعة ينبغى ان تكون ممثلة بصورة قاطعة بين صانعى القرار السياسيين** ـ Political Decision-maker ، **وان يكون لهم تاثير او تكون لهم قوة سياسية أن الطبيعة غير المثلة لصناع القرار السياسى فى امريكا ـ ليس هناك شك ـ فى ان لها بعض النتائج ، ولكن هذا لا يحررهم من قدرتهم الحسابية اللانهاية بالنسبة للعملية الانتخابية ٠ وهكذا فان هذا التواتر او التكرار الذى من خلاله يمكن لأعضاء جماعات بعينها أن يوجدوا من بين صانعى القرار ، لا ينبغى ـ اى لهذا التواتر ـ أن يعتبر مؤشرا ناجحا غير خاطىء على توزيع القوة فى المجتمع ٠** (Matthews, 1954, p. 32)

ان الاختلاف الكبير بين نظام التعدد الحزبى multi-Party system ونظام الحزب الواحد Single-Party فى هذا المقام يكمن فى انه بالنسبة للشكل الاخير ( الحزب الواحد ) نجد ان القادة السياسيين اقل قدرة من الناحية الحسابية على تقدير افعالهم ، وخاصة خلال استخدام القوة ، وهم يستطيعون ـ اى هؤلاء القادة السياسيون بالحزب الواحد ـ رغم ذلك أن تكون لديهم قوة اكثر ٠ ولكن هذا الفرق هو فرق فى**الدرجة** ، وليس فرقا فى **النوع** ، وهذا لا يعنى بالضرورة أن نظام الحزب الواحد يتسم كلية بأنه نظام غير شعبى unpopular ٠ ان قادة هذا النظام لايتحملون أن يكونوا كذلك ، وذلك لأن الصفوة السياسية Political Elite فى **نظام الحزب الواحد الذين يصبحون غير شعبيين يعرضون المشاركة الشعبية الكبيرة للخطر ، رغم انهم يؤكدون هذه المشاركة الشعبية تحقيقا للأهداف البعيدة للتنمية ٠**

Seligman, 1964, p. 622 ; also Bottomore, 1964, pp. 108-9).

ولعل هذه العلاقة القائمة بين القيادة والتدعيم لتحثنا على أن نتوقع أن تكون بعض ثورات القرن العشرين محورا لعدد الدراسات الشاملة ، والتى تتسم بعدم الاكتمال ، وهو الأمر الذى حققه الكسندر رابينوويتش Alexander Rabinowitch (1976) ، عندما **حاول أن يحلل الحركة البلشفية** Bolshevik **للاستيلاء على القوة فى روسيا** ، وهو ما يجعلنا **نشعر أنه ينبغى أن تراجع مناقشة لازويل** Lasswell **التى دارت حول التغييرات غير الدستورية وغير الشعبية التى يضطلع بها المثقفون** unpopular intellectual Coups d'état . ان العمل الذى قدمه رابينوويتش Rabinowitch ( وكذلك المؤرخون الاجتماعيون المعاصرون الآخرون الذين تناولوا الثورة الروسية ، والذين توصلوا الى نفس النتائج ، قد استقبل من الدارسين بالترحاب (Ascher, 1977) ، **ولاشك ان هذا العمل قد قدم تفسيرا مختلفا عما قدمه لازويل . وهكذا فان رابينوويتش كتب يقول :** (1976, p. XVII) Rabinowitch

**« لقد نظر الدارسون الغربيون الى هذه الحادثة ( ثورة أكتوبر ) باعتبارها نتاجا للتنفيذ الجيد للتغييرات الدستورية غير الشرعية التى ليس لها أى دعم شعبى . اننى أجد ، مع ذلك ، ان التفسير الكامل للاستيلاء البلشفى على القوة من التعقيد بصورة أكبر من هذه التفسيرات المقترحة . »**

ان دراسة الطموحات المختلفة للعمال والجنود والبحارة كما هو معبر عنها فى الوثائق المعاصرة ، تكشف عن أن هذه الطموحات ذات صلة وثيقة ببرنامج الاصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى وضعه البلاشفة Bolsheviks ، فى الوقت الذى كانت فيه كل الأحزاب السياسيه غير جديرة بالاكبار لفشلها فى احداث تغييرات داخلية ذات معنى ، فضلا عن اخفاقها فى ايقاف اشتراك روسيا فى الحرب . وكنتيجة لذلك ، نلاحظ أنه فى أكتوبر كانت أهداف البلاشفة ، كما فهمتها جماهير الشعب مدعمة تدعيما شعبيا .

ان هذا لايعنى اننى لا أعتقد أن التغييرات غير الدستورية العنيفة لايمكن أن تحدث فى المجتمعات النامية ، ولكن هناك ـ فقط ـ **تمييز بين** التغييرات غير الدستورية العنيفةCoups والثورة ، هذا التمييز ذو فـائدة ولايجب أن يتسـم بالغموض • فالتغييرات غيـر الدسـتورية يمكـن أن ننظر اليهـا باعتبارهـا حركة عنيفة للاسـتيلاء أو لامتـلاك القـوة **تقوم بها جماعات صغيره من الأشـخاص الذين يحكمون بنفس طـريقة الأفراد قاموا أصلا بطردهم • أما الثورات فهى عادة ما تكون حركة عنيفة للاستيلاء على السلطة يقوم بها جماعات من الأشخاص من ذوى التأييـد الشـعبى العريض ، وهى الجماعـات التى تأخذ فى اعتبارهـا التحـولات الراديكالية التى تحـدث فى النظـم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية •** ولقد لاحظ لازويل ان الهزات العنيفة التى حدثت فى روسيا والصين لم تكنمجرد تغييرات غير دستورية عنيفة Coups قادها المثق ون او آخرون غيرهم ، ولكنها كانتا **ثورتين** ، احتل خلالها المثقفون العديد من المراكز القيادية المرموقة ، ولكنها ثورة على ية حال •

ولقد قدم لازويل اقتراحا بمدخل لتحليل الجذور الاجتماعية للاستياء الجمهيرى ومحاولة فهمه • ويعلق أحد أتباعه وهو بارينحتون مـور Barrington Moore (1966, p. 480) على هذا **قائلا :**

**« ان المثقفين ـ ككل ـ يستطيعون أن يفعلون القليل سياسيا ما لم يجعلوا أنفسهم تجاه الشكل الجماهيرى كما يتبدى فى الاستياء وعـدم الرضا • وأن المثقف الساخط ـ بروح البحث لديه ـ يمكن أن يبلور اهتماما خاصا ، خارج اهتمامه السياسى • وانه لمن الخداع والتضليل أن نذكر أن تنبـع من شـكاوى الفـلاحين Peasants grievances لمجـرد أن البحوث التى يقوم بها المثقف تترك كسجلات مكتوبة ، او لان الذين يكتبون التاريخ هم أنفسهم من المثقفين ، أو لمجرد أن قـادة الثورات عـادة ما يكونوا من المهنيين او من المثقفين •. »**

ونتيجة لذلك ، ومن خلال التمييز بين القادة ومحاولة تدعيم هذه القيادة ، ومن خلال معرفة **أن المثقفين يتشكلون فقط من الأقلية القيادية في غالبية ثورات القرن العشرين** ، وعن طريق توسيع مفهوم الديمقراطية لكى يشمل البعد الاجتماعى الاقتصادى Socio-Economic dimension ومن خلال هذا كله نستطيع أن نستنتج أن قضية لازويل مضللة • ولاشيء مع ذلك ، يحمل على القضية العامة التى قدمها ميتشيل Michels والتى سوف نعرض لها •

## القانون الحديدى للديمقراطية

## The Iron Law of Democracy

لم يشأ منظرو الصفوة Elite Theorists ان يخوضوا غمار الجدال بشأن مفهوم التعددية للديمقراطية ، والذى يؤكد على قدرة كل الجماعات الاجتماعيه على أن يكون لها تأثيرها على العملية السياسيه لاتخاذ القرار • لقد أثار هؤلاء المنظرون نقاشا - فقط - حول درجة اقتراب الواقع الاجتماعى من هذا المفهوم • لقد تصور مؤيدو التعددية Pluralists ان درجة التناسب بين ما **هو مثالى أو واقعى** فى الغرب تتسم - أى هذه الدرجة - **بأنها عالية** ، بينما يرى أصحاب نظرية الصفوة أن درجة التناسب هذه تميل **الى الضآلة والانخفاض** ، ورغم اتفاق مفكرى الجناح اليسارى مع أصحاب نظرية الصفوة على عدم **الاتصالا بين المثالى والواقعى فى الغرب** ، الا انهم ينظرون الى اساس الديمقراطية بصورة أوسع من مؤيديها من المدرستين الفكريتين الأخرين ( يقصد أصحاب نظرية الصفوة ومؤيدى فكرة التعددية — المترجم ) ، فالتعريف ، كما لاحظنا يضيف البعد الاجتماعى الاقتصادى ( يقصد التعريف الذى تبناه اليساريون لديمقراطية - المترجم ) •

ولكن بعيدا عن الحقيقة التى تجاهلها غلاة اليساريين الدوجماطيقيين Dogmatic Leftists نلاحظ أن **درجتى السيادتين الاقتصادية الشعبية والسياسية الشعبية** ، تختلفان بصورة مستقلة ( ان غالبية النقص الكلى للحرية السياسية فى العالم الشيوعى يبقى حقيقة رغم استعداد هذه النظم لمعرفة الحقوق البشرية كعمل ينبغى الحفاظ عليه ) ، وهناك مسأله خطيرة أخرى متعلقة **بنقد الجناح اليسارى** هذه المسألة هى : ان غالبية

اليساريين يرون أنه بالمفهوم الضيق **لمعنى الظروف الاجتماعية** ، نستطيع أن نزيد من مستويات الديمقراطية الغربية ، وقد يرجع هذا الى **أنهم يعطون وزنا أكبر من الناحية النظرية للظرف الوحيد المتعلق بالا طبقية** Classlessnes ويرى ميتشيل Michels أن هذه **النظرة الضيقة** يشاركهم فيها منظرو الصفوة ٠

وبالطبع فان ميتشيل لم يؤرق نفسه بتحديد تلك القوى التى تقف عائقا امام القانون الحديدى للأوليجاركية ٠ ومع ذلك ، فان اختياره للفظ القانون الحديدى يعنى انه ينظر الى المسأله باعتبارها أمرا تافها ٠ ولكن ـ وكما اشار آلفين جولدنر Gouldner ـ فى مقدمة هذا الفصل أن النزعات الأوليجاركية سوف تؤكد نفسها بصفة مستمرة ، ذلك فان هذه النزعات تستطيع ان تعمل ضد القوى الديمقراطية التى يصعب كبحها Irrepressible ان المسألة الشيقة التى سوف تشغلنا طوال هذا الفصل تكمن فى محاولة تحديد ماهية هذه القوى الديمقراطية وتحت اى ظروف تعمل ٠

ولعله من المفيد فى هذا السياق أن نفكر فى غالبية الأحزاب السياسية والحركات والنظم باعتبارها مؤسسات غير منسجمة اجتماعيا ، وانه لمن المثمر أيضا أن نعمل على تبسيط المسائل وذلك بالتمييز بين فئتين فقط داخل **كل هذه المؤسسات : الفئة الأولى هى المثقفون** أما الفئة الثانية فهى غير المثقفين Non-Intellectuals ويمكننا أبعد من ذلك أن نتصور أن توزيع القوة بين هاتين الفئتين داخل المؤسسات السياسية يتوقف على الحجم النسبى لكل منهما ، ومستوى التنظيم الاجتماعى ، ومدى الاقتراب من المصادر ( المصادر القهرية والمادية والمعيارية ـ انظر الفصل السابق ) ٠ وفى النهاية أود أن أفترض أن الضبط الأوليجاركى واتجاهات الصفوة Elitist Attitudes تتضح من خلال المثقفين الذين يمكون قدرا اكبر من القوة بالمقارنة بما يملكه غير المثقفين ٠

ان المزية الخاصة بهذه الصياغة اللفظية بالنسبة لميتشيل Michels تتحدد فى أن هذه الصياغة تعمل على تحويل الثابت الى متغير ، وتلك وظيفة **توازن القوى** balance of powers المقصود بالثابت Constant الاتجاه الصلب الأوليجاركية ، والنزعة الصفوية elitism ، أما المقصود بالمتغير Variable هو حركة الجزر والمد بالنسبة للنزعات الأوليجاركية والديمقراطية ) .

ورغم أن هناك تعزيزا قويا من ميتشيل لافتراض الحتمية الأوليجاركية والنزعة الصفوية Inevitablity of oligarchy and elitism ، الا انه يبدو انه من الأفضل أن يتحول فرضه هذا الى فرضية غير جازمة . وعلى الأقل فان هذا يعد أمرا معقولا اذا ما استطعنا أن نشير الى بعض **حالات القانون الأوليجاركية التى لايمكن تطبيقها ، وحتى توزيع القوة داخل التنظيمات السياسيه قد يسمح لنا أحيانا أن نتحدث عن القانون الحديدى للديمقراطية .**

واننى لأرغب على سبيل الايضاح أن أناقش ـ بشىء من التفصيل ـ **التنظيم الاجتماعى الأحزاب الشيوعية** ، كذلك النزعات الأوليجاركية والديمقراطية للمثقفين الماركسيين Oligarchical democratic propensities of Marxist intellectual **فى اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .**

ولعل انتقاء موضوع الدراسة لمبريقيا لايمكن ان يكون عفويا أو اعتباطيا Fortuitous ، ن مرحلة التحول من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين فى روسيا لم تمنح ـ فقط ـ الميلاد لما يسمى بوجه عام بالتنظيم الأوليجاركى الأصيل ـ والذى نعنى به **الحزب البلشفى** Bolshevik Party تحت قيادة لينين Lenin ، ولكنها ـ أى هذه المرحلة ـ كانت علاوة على ذلك ـ **ثرية بالمثقفين الماركسيين** ، الذين كانت أفعالهم واتجاهاتهم تتسم بالاختلاف الكبير على بعد الاوليجاركية

لديمقراطيـــة Oligarchical/dimension واذا اســـتطعنا أن نشـــير الى أن مســـتويات الســـيطرة الأوليجـــراكية والفكـــر الخـــاص بالصفوة بالنسبة للمثقفين يختلف من وقت لآخر ، كما أنه يختلف طبقـا لتقلبات توزيع القوة بين المثقفين وغير المثقفين داخل الأحزاب ( بما فيها الحزب البلشفى ) ، فاذا استطعنا أن نشير الى ذلك **فـان قيمة القانون الحديدى للديمقراطية** Iron Law of democracy **كتوازن مـــع القـــانون الحديدى للأوليجاركية الذى قدمه ميتشيل ، يصبح ـ أى القانون الحديدى للديمقراطية ـ اميل الى الصواب ٠**

وبعكس ما تصـور العديد من الكتب فاننـا قد نبدأ بملاحظـة ان الانتلجنســـيا الروســـية Russian intelligentsia ليست دائما معلقة بين الطبقات : ان المذكرات المتوفره لدينا من التراث والبحوث التاريخية ليشير الى أن الروابط التى تجمع مابين المثقفين والعمال كانت كثيفة الى حد كبير وذلك خلال فترات معينة ٠ وهذا يعنى أن هناك زمنين ارتبطت خلالهمـــا الجماعتان من **خـــلال دوائر الدعاية** Propaganda Circles **والتنظيمـــات** الحزبية ، حيث كانتا هاتان الجماعتان على درجة عالية من الارتباط ، الا أن هذه الدرجة لم تكن بهذه القوة فى أوقات أخرى ٠

وبوجه عام ، فلقد كانت التسعينيات من القرن التاسع عشر هى الأعوام التى تحقق خلالها هذا الاتصال الوثيق بين هاتين الجماعتين ، ولقد كانت تلك الفترة ، هى فترة الاستثمار الأجنبى الكثيف ، والتوسع الصناعى السريع ، كذلك فانه كان يعد نسبيا عصر انخفاض نســـب البطالة ٠

**لن** هذه الفتره لم تكن شاهدا فقط على الموجه الزاحفة الظـاهرة عـــدم استقرار العمل ، **ولكنها كانت شاهدا ايضا على المحاولات الملموسة التى قامت بها طائفة كبيرة من العمال للارتباط بالانتلجنسيا من حيث مساعدتهم على التنظيم والتعلم ، فضلا عن حثهم من الناحية الدعائية ومحاولات**

**اثارة الحمية فيهم** • ان هذا الزمن ( يقصد التسعينات من القرن التاسع عشر ـ المترجم ) كان مثلما كتب **أحد المثقفين :**

« **هو الزمن الذى كان فيه العمال يبحثون عنا** » ان المثقفين كانوا فخورين بالنمو المستمر لارتباطاتهم بالمصانع الكبرى والمصانع الصغرى ، كما كانوا فخورين أيضا بهذا التزايد السريع فى اعداد العمال فى التنظيمات الحزبية • «Party Organizationc

لقد أمتدت حركة الاضراب التى نبعت من بولندا Poland الى الجزء الغربى من روسيا الأوروبية ، وهى الحركة التى تزايد من خلالها اشتراك العمال فى الحركة الثورية ، بل نستطيع أن نؤكد أنها قد تحركت من الجزء الغربى وأبعد من ذلك حيث الجزء الشرقى • ولقد أنتشرت الفكرة الاستراتيجية الجديده بشكل دقيق خلال اطريق الملتهب الذى رسمه المضربون strikers • وخلال السنوات الأخيرة للحقبة السابقة التى كانت تسمى الحقبة الشعبيه Populiist era ، تجاهل الفلاحون ، المثقفين الراديكاليين ، حيث شعر هؤلاء المثقفون أنهم فى حاجة لكى يعطوا التاريخ دفعة ، وأن عليهم أن يرتبطوا بالأفعال الفردية للارهاب السياسى Political terror ، ولكن الأمور تطورت الآن بصورة افضل لصالح هؤلاء المثقفين • وبتزايد نسبة العمال المساهمين فى الحركة الثورية ، حاول المثقفون تطوير استراتيجية يلعبون من خلالها أدوارهم • ولقد كانت **الحركة الاجتماعية الديمقراطية تعنى فى تطبيقها ديمقراطية المثقفين •**

وقبول الاستراتيجية الجديدة قد أتضح خلال نشر كتاب آركادى كريمر Arkady Kremer والمعنون ( فى الاثارة ) On Agitation (1893) والذى أمد كل الحركة الاجتماعية الديمقراطية بأسسها الاستراتيجية • ولقد كان محور مناقشة كريمر Kremer يدور حول قضية أساسية مفادها أن حركة الاضراب تعد مدرسة أوليه لتدريب العمال الديمقراطيين social democrats • وقد يكون اشتراك العمال فى الاضرابات تحقيقا

لمطالب تافهه قد يتصاعد بحيث يصل الى **صراع** بين الطبقة العامله الكاملة من ناحية وكل الطبقات العليا ارتباطا بالحكومة من ناحية أخرى · وهذا الصراع كمـــا يرى كريمر Kremer يبلغ دورتـــه عندمـــا تتحقق هزيمه الأوتوقراطية Autocracy · منذ اللحظة التى يصبح فيها العمال أكثـــر اكتفاء من الناحيتين التنظيمية والتعليمية لتنفيذ مهمتهم هذه ، عندئذ ينبغى أن يكون الصراع موجها بصفة أساسية نحو الجبهة الاقتصادية · وحقيقة لقد وجه المثقفون حركة الاضراب Strike movement ، ولكـن البعض قد حذر المثقفين بألا يضعوا أصابعهم على نبض الجماهير ، ولكن عليهم ــ فقط ــ أن يقدموا يد العون **بصورة متدرجة لنشر الوعى** لدى الطبقة العاملة · وفى التحليل النهائى ، يرى كريمر Kremer أن الطبقة العاملة هى وحدهـا القادرة بنفسها على الاطاحة بالنظام · ان هذا الطاقم من الأفكار الذى حدد الدور القيادى الذى لعبته الحركة الشعبية قد أطاح بالفعل بالامبراطورية · وحتى لينين Lenin الذى قدم رؤية مناقضة لما سبق حيث صرح عام ١٨٩٥ أن دور الانتجنسيا Intelligentsia يتركز فى « الارتباط بالحركـــة العمالية لتنويرها ، كى يساعدوا العمال فى كفاحهم الذين بدأوه بالفعل » ( وهذا ما أكدته بالفعل ) ·

ومع ذلك ، ومع بداية عـــام ١٩٠١ نلاحظ أن هنـــاك مجموعة من العوامل كانت بمثـــابة العـــون لعدد من المثقفين على التخلى عن آرائهم · **وأولى هـــذه العوامل** ، يتحـــدد فى تراجـــع حركة الاضـــراب فى آخر عـــام ١٨٩٥ بنـــاء على النتـــائج السـيئة التى ترتبت على هـذه الحركة ، **أو** بصـــورة أدق ، تتحـــدد أولى هـــذه العـوامل التى حثت المثقفين على أن يتخلوا عن آرائهم فى أن المضربين Strikers ، قد تم توظيفهم فى المشروعات الصناعية الكبرى · ولا ترتبط بصورة دائمة الحالة التى تتزايد فيها **القلاقل** الخاصه بالعمل **بارتفاع حدة الاضـــراب** Upswings فى دائرة العمـــل ، ولا يرتبط الهدوء دائمـــا بحـــالة انخفاض **حدة** الاضراب downswings ، ولكن كثيرا ما يحدث هذا ، ولكن يبدو أن روسيا قد سارت ــ وبصورة حادة ــ على نفس هذا النموذج · ان هذه الظاهرة

يمكن أن تفسر باعتبارها نتيجة للحقيقة التى مؤداها أن العمال قد استطاعوا أن يستحوزوا على مصادر اقتصادية ومدخرات مالية ، وفرصا مهنية بديلة ، ومن ثم اكتسبوا قوة أكثر خلال فترات الازدهار boom Periods ، وعلى العكس من ذلك ، وبتحول القرن التاسع عشر فى روسيا ، نستطيع أن نسجل بعض المكاسب القليلة على الجبهة الاقتصادية منذ أن تراجع العمال المجبرون على **التركيز على الحياة المعيشية** أكثر من تركيزهم على الثورة ، وذلك بالتخلى عن الاشتراك فى كل من الاضرابات والأنشطة الحزبية وذلك بغرض تحقيق الهدف المعيشى الدنيوى mundane goal وهو الاكتفاء **بمجرد الحصول على الطعام** . ولكن الظروف المحلية الفريدة لموسكو قد تمثل حالة متطرفة extreme Case ، ولكن ايضا بالنسبة لجوهر الموقف نجد أن هناك فرقا بسيطا حيث كانت الصناعة الكبرى : فحتى عام ١٩٠٥ كنت الانتلجنسيا غير « **قادرة على اعادة بناء روابط وثيقة بالعمال ، ومن ثم عدم قدرتهم على ممارسة اى تأثير على الحركة العمالية** » . ولقد كتب أحد المثقفين فى مذكراته ـ وهو من المثقفين الذين كان لهم صلة وثيقة بحزب العمال بالجنوب الغربى لروسيا وفى موسكو خلال تلك الفترة ـ **كتب يقول : كيف كان يهرب ـ بصورة ثابتة ـ من أحدهم ، بنفس الظاهرة** » .

وبعيدا عن المثقفين ، نجد ان التنظيمات الحزبية كانت تتضمن عمالا من الشباب ذوى الحماس والتصميم ، ولكنهم ذو وصلة ضعيفة بجماهير المصانع وغير ذى نفوذ بالنسبة للمشروعات الصناعية .

وفى بحثهم عن السبب الجدير بالاهتمام والذى عمل على نمو هذا الشقاق Ript بين كل من العمال والمثقفين ، أكدت كوكبة كبيرة من المؤرخين ان هذا السبب **كان سياسيا** فى مضمونه ، وبصورة أكثر دقة ، ان هذا السبب كان يرجع الى نشاط الشرطة التابعة للنظام . ولقد كشف عن ذلك عدد الأفراد الذين تم القبض عليهم سياسيا Political arrests واكدته المحاولات الوحشية المكثفة brutalaity intensified attempts

التى عادة ما يقوم بها عملاء الشرطة police agents والتى استهدفت تطهير التنظيمات الحزبية وتنقيتها • ويعتمد محرضو الشرطة provocateurs على الوحشية والأسلوب الفظ فى تحطيم التنظيمات الثورية ، وفى حث الانتلجنسيا على عدم الارتباط بالطبقة العاملة •

وبعد عام فى ١٩٠١ شاهد عيان على قمة الضعف السياسى لدى الجماعة المتعلمة ، ولقد أدى القمع الحكومى Government repression الى زيادة النزعة الراديكالية لدى الانتلجنسيا ، والتى أدت بدورها أيضا الى زيادة درجات الكبت • ولقد خضع طلبة الجامعات بصفة خاصة للممارسة القوية للسلوك التعسفى للسلطات ، وهو ما نجد مؤشرات له عام ١٨٩٩ ، حيث اتصل هؤلاء الطلبة ـ كنتيجة لتعسف السلطات ـ بالمعارضين Protesters عبر الوطن ، الأمر الذى أدى الى حدوث رد فعل عنيف خاصة فيما يتعلق بالعقاب : ففى بيتر سيبرج St. Petersburg وكييف Kiev وحدهما تم وضع مائتى طالبا ـ قهرا ـ فى الخدمه العسكرية ولقد قسم الطلبة الساخطون enraged students جهودهم ، تلك الجهود التى وصلت الى قمتها فى اغتيال assassination وزير التعليم ، ومازال هؤلاء الطلبة ، أكثر الطلبة معارضة ، اما الطلبة الآخرون فقد تجرعوا وحشية الشرطة وفظاظتها • وبدأ الليبراليون يتعاطفون ـ بشكل مفتوح ـ مع الطلبة ، معارضين سلوك النظام ، متصلين بالطريق العريض لمؤشرات عام ١٩٠١ • ولقد نما مفهوم الانتلجنسيا الخاص باهمية الذات Self-Importance والذى انتقل من العمال الى **الجماعة المتعلمة :**

**الى الجماعة المتعلمة :**

**« فى ظل هذا المناخ الثورى الناتج ( كتب أحد المؤرخين ) كانت الخطوط الايديولوجية قد أضحت غير واضحة أو اصابتها الغشاوة للحركة الثورية تخبو وتتلاشى فى الخلف ، وحلت محلها الانتلجنسيا الراديكالية البطولية ، ولقد ظهرت الافكار المثالية العالية عن الوطن وتألقت البطولة الشجاعة**

عن الكرامة الانسانية Human dignity ضد عصا الشرطة ، Police truncheons وضد محاولات سحب الطلبة المعارضين ، وكل الانتهاكات المخزية Humiliating Abuses .

وهكذا ، فلقد ازدهرت كل من راديكالية الانتلجنسيا والثقة فى النفس Self-Confidence وبصورة دقيقة فى نفس اللحظة التى أنهارت فيها الحركة العمالية . وكنتيجة لذلك ، فان تلك الأدوات التى جعلت كلا من المثقفين والعمال على صلة حميمة ، هذه الأدوات سرعان ما سقطت فى قاع النسيان disuse . فلقد كانت الأرض مهيئة للتأكيد على قطاع من المثقفين بالنسبة لأهميتهم فى عملية الاسقاط الثورى فى مقابل ضآلة حجم العمال .

وتحت قيادة جماعة الأسكرا Iskra ، هؤلاء الذين أصبحوا خلال عامين من المناشفة Mensheviks * والبلاشفة Bolsheviks ، تم تشييد تنظيم مركزى يستهدف السيطرة على الأنشطة الديمقراطية الاجتماعية فى روسيا . ولقد ظهرت الخطة التنظيمية للأسكرا ISKRA خلال مؤلف لينين Lenin والمعنون : ما الذى يمكن عمله ? What is To Be Done ، والذى كانت تدور فكرته الأساسية **حول ما يلى** : ان العمال قادرون بأنفسهم – فقط – على تطوير وعى نقابى trade-union Consciousness ، **ولكنهم عاجزون عن الوصول الى درجة الاطاحة بالنظام الأوتوقراطى** ، ولذلك فان الأفكار الخاصة بالديمقراطية الاجتماعية ينبغى عندئذ أن تقدم الى العمال بصورة كاملة ، وهذا هو ما يقوم به الحزب المركزى للثوريين المحترفين Professional Revolutionaries . ولقد كان هذا التنظيم يتشكل من **المثقفين والعمال** حيث ارتفع العمال بوعيهم الى **درجة وعى المثقفين** .

---

* المناشفة هم جماعة منشقة عن البلاشفة تختلف عنها فى ( بعض ) الرؤى والتصورات السياسية والاقتصادية .. الخ .

وبعبارة أخرى ، لم تكن الانتلجنسيا ، على صلة بالعمال ( كما صرح لينين عام ١٨٩٥ ، بل لقد أتصل عدد محدود من أكثر العمال تطورا انتلجنسيا • ولقد قدم لينين Lenin تفسيرا لتلك الظاهرة مؤداه : « **أن كلا المركزين ( يعنى المثقفين والعمال ـ المترجم ) يمارسان أقصى سلطتهما على الحزب ـ هذا الكيان الرئيسى** Central Organ **فى أوربا الغربية ، والذى يعد مسئولا عن القيادة الايديولوجية** Ideological leadership **فى حين كانت اللجنة المركزية** Central Committee **التى كان موطنها الأصلى يقع فى روسيا ، مسئولة عن التوجيه وعن القيادة العملية** Practical Leadership **ان اعضاء كلا البناءين ( يقصد بهما البناء الايديولوجى والبناء العملى ـ المترجم ) قد أختيروا اختيارا ذاتيا** Self-selected **، وبانسجام تام ، كل مع الآخر** •

وأسفل هذين المركزين ( المثقفون والعمال ـ المترجم ) كانت تتبع اللجان المحلية Local Committees ، والتى اعتمدت على هذين المركزين اعتمادا كليا ، ولقد كانت هذه اللجان منتشرة فى كل مدينة ، وتتكون ـ بصورة متماثلة ـ من مجموعة من الاعضاء المختارين اختيارا ذاتيا Self-selected من الجماعات ذات المستويات الدنيا ، كما هو الأمر بالنسبة لخلايا المصانع كان يتسمون بالخضوع . ان السلطة تطفو من القمة الى القاع ، وكذلك المسئولية من القاع الى القمة ولعله من المؤكد تماما أنه منذ أن تم اختيار القادة اختيارا ذاتيا بدأ الخطر الذى يتعلق بالمراكز واللجان المحلية فى الظهور ، وهو الخطر المتعلق بالتوجس من أن تتضمن هذه المراكز واللجان شخصا غير قادر يمكن أن تستغله القوة الكبرى • كيف تستطيع اذن العضوية أن تحرر كل شخص أو تخلصه ؟ وبعيدا عن الانتخابات ـ نجد أن الديمقراطية السياسية فى الحزب كان الديمقراطيون الاجتماعيون الروس ـ حتى لذة اللحظة الزمنية ـ ينظرون اليها أى الى الديمقراطية السياسية ـ المترجم ) باعتبارها مخض « **نضال يعقب النتيجة او الأثر** » ، ولكنه ـ فقط ـ « **تأثير تابع** » يستطيع أن يقوم بطرد القاده

غير الأكفاء أو الذين يمثلون خطورة • وبعبارة أخرى ، لم تكن هناك أى مراجعة نظامية للسلطة • ولدرجة ما فان تمركز السلطة السرية المبدأ الاختيـــارى واستخدامه كانت كلها أمورا هـامة بالنسـبة للدولة البوليسـية • ولكن الديمقراطيين الاجتماعيين الروس قد فشلوا فى أن يدركوا فى هذا الوقت أن التنظيم يستطيع أيضا أن يسمح للقادة بتطوير النزعات التسلطيـة Authoritarian tendencies ، وهو الأمر الذى يمكن أن يكون ضارا بمصالح الأعضاء •

وجدير بالاشارة أن الشقاق المعروف جيدا بين المناشئة Mensheviks من ناحية والبلاشفة Bolsheviks من ناحية أخرى حول المسائل التنظيمية والذى أندلع عام ١٩٠٣ ، كان يدور فقط حول التقسيم الأيديولوجى : ومن الناحية العملية نلاحظ أن المناشفة Mensheviks كانوا فى سلوكهم يشبهون البلاشفة Bolsheviks حتى عام ١٩٠٥ ، وذلك بالتركيز على بناء قيادة الانتلجنسـيا Intelligentsia ، ممشتركين فى المجادلات الحزبيـــة التى تحدث فى **القمة** ، **متجاهلين** ، **القطاعات** التى تحدث فى **القاع** ، ويرجع ذلك ـ كما أشار أحد مثقفى المناشفة Mensheviks ـ الى أنهم ـ اى المناشفة ـ الذين يشبهون البلاشفة **كانوا فى عزلة عن الجماهير العمالية** •

ولكن قبل أن تتحول الى أحداث عـام ١٩٠٥ دعونا نـرى كيف أثرن التقلبات التى حدثت على مستوى الطبقة العاملة فى المثقفين خلال حزبين ماركسيين روسيين آخرين هما : الحزب الديمقراطى الاجتماعى اليهودى Jewish Social Democratic (Bund) ، وحـــزب العمـــل الصـــهيونى Labour Zionist Party ؟ فأصحاب الحزب الأول ( اليهودى ) Bundists قد فشلوا فى أن يصلوا الى قمم صفوة الانتلجنسيا ، فضلا عن اخفاقهـــم فى أن ينشئوا تنظيما سياسيا مركزيا كما فعل كل من المناشفة Mensheviks والبلاشفة Bolisheviks • ورغم تحولات القرن ، فـان المثقفين على مستوى كل الأحزاب قد أستجابوا لعملية الاضعاف السياسى Political awakening التى حدثت للمجتمع المتطم ( يعنى المثقفين ـ المترجم ) ،

ولقد ادى هذا نسبيا الى تفكك كل الحركة العمالية وذلك من خلال المحاولة المركزة التى استهدفت تحقيق أكبر سيطرة على أنشطة هذه الحركة ومحاولة تسييسها • والواقع ان القاعدة الجماهيرية للحزب اليهودى الديمقراطى الاجتماعى Bundists, mass base لم تختف من الأفق : بل على العكس نجد ان حركة الاضراب بين العمال غير اليهود Non-Jewish Workers كانما تحدث بصفة اساسية داخل المشروعات الصناعية الكبرى ، بينما كانت حركة الاضراب الخاصة بالعمال اليهود Jewish Workers كانت بصفة اساسية بين العمال الحرفيين ، والمصانع الصغرى وكانت هذه الحركة تبدو وكأنها مستمرة فى النمو • ولقد ازدادت أعداد العمال اليهود المضربين كل عام ، حيث ازدادوا بصورة ملحوظة من عام ١٩٠٣ ، بينما انخفضت بصورة سريعة أعداد المضربين من غير اليهود بعد عام ١٨٩٩ • وفى عام ١٩٠٢ وهو العام الذى صدر فيه كتاب لينين Lenin المعنون : «What is To Be ?» ظهر أن هناك قلة من غير اليهود المضربين بالمقارنة باليهود المضربين على الرغم أن اليهود قد استطاعوا ان يشكلوا ١٠٪ فقط من سكان الامبراطورية وذلك وفقا لاحصاء عام ١٨٩٧ ، كذلك كانت لهم علاقات بالمهن الميكانيكية والصناعية •

ورغم أن كلتا الجماعتين قد تأثرتا بالكتب الذى بدأ فى أواخر عام ١٨٩٩ ، الا ان الحرفيين اليهود كانوا قادرين على الاستمرار فى اضرابهم ، وفى انشطتهم الحزبية ، ويعود ذلك الى انهم كانوا منظمين بصورة أفضل ، وكانوا ذوى تفكير يدوى حضرى ، كما كان لهم تاريخ ثقافى طويل ، وتنظيم يتسم بسيادة فكرة المساعدة المتبادلة ، بينما كان العمال الروس ( من غير اليهود – المترجم ) الذين يعملون فى المشروعات الصناعية الكبرى غالبا ما كانوا ينحدرون من الاقاليم • ولكن أيا كن السبب فان حرية الاضراب التى قادها اليهود والتى استمرت فى النمو كانت تكشف لمثقفى اليهود من الحزب الديمقراطى الاجتماعى Bundist intellectuals عن الحقيقة التى تذهب الى أن **العامل كان لايزال** قوة كبرى يمكن الاعتماد

عليها • ان اى تظاهر بتجاهل العامل لايمكن ان يستمر طويلا خلال هـذا المناخ • ان اعضاء الحزب اليهودى Bundists ، مع ذلك ، استمروا فى اعتقادهم بأنه من الأفضل الاستمرار فى الارتباط بالجماهير خلال الاتجـــاه الصحيح الذى قد لايكون اتجاها كليا ، ولكنه أفضل من أن يعزل الانسـان نفسه عن هؤلاء الجماهير ، ويبقى وحيدا • لقد كان **محرفا** خلال الأعوام التى سبقت عام ١٩٠٥ على كل من البلاشـــفة والمناشفة والعمال اليهود **ممارسة أى فعل** ، بكل ما تنطوى عليه هذه الكلمة من معانى •

لم يتماثل مثقفو حزب العمل الصهيونى فى المدن الذى تأثروا فيـه بموجة القلاقل الخاصة بالعمل اليهودى ، ويرجع السبب فى ذلك الى أن أضواء زعاماتهـم كانت قبل عـــام ١٩٠٦ تتركز فى مدينة أوكرانيـــا Ukrainian town التابعة لبولتافا Poltava والتى كانت خلوا من العمال ان النسبة العالية للمثقفين – نسبيا – مقارنة بالعمال فى التنظيمـات الحزبية كانت تسمح للمثقفين بأن يقموا أفكارا متطورة تتعلق بالصـــفوة اعتمادا على بعض الطرق الخاصة بالنزعة البلشفية Bolshevism • ولقد أشتكى بير بوروكوف Borokhov وهو المنظر الرئيسى Chief theoretician لحزب Poalei-Zionist ( عمال صهيون ) ، أشتكى فى أواخر عام ١٩٠٤ وبداية عام ١٩٠٥ من « **اننا مستغرقون جدا فى مناقشات ظريفة ظريفة وغاية فى الغطرسة حـول الصهيونية** Zionism **باعتبارها حركـــة البشر** » ولقد أصـــر بير بوروكوف Borkov » **على انـه ينبغى على ذوى الوعـى السياسى** Labour Zionism **ان يكون بمثابه حركة الرواد ذوى الوعـــى السياسى** Politically Conscious Pioneers **وهم الرواد الذين يشكلون الانتجلنسيا التى ينبغى أن تتحمل التضحية الشـــخصية فى التجهيز لاحتلال فلسطين** •

ولكن بـوروكوف Borokhov فى حديثـة هـــذا عن الصـفوة قد تناسى الطليعة المثقفة Intellectual Vanguard • لقد نظر فى عـــام ١٩٠٦ الى احتلال فلسطين باعتبارها نتيجة حتمية للقوى الاجتماعية الاقتصادية Spontaneously developing Socio-economic forces

النامية بصورة تلقائية وهى القوى التى تأثرت ـ ليس بالمثقفين ـ ولكن بالجماهير اليهودية : وكما كتب بوروكوف Borokhov فى هذا العام أن « **الثورة الرايكالية فى الحياة اليهودية سوف تنبثق ليس من خلال قوة الوعى ، ولكن عن طريق القوة العملية التلقائية** » ( وهذا ما اكدته بالفعل ) ٠

**والسؤال هنا هو** : ما الذى أحدث هذا التغير الأيديولوجى الكامل ؟ ان هذا التغيير قد يرجع بصفة مبدئية الى الحقيقة التى مفادها أن الرابطة التى كانت قائمة بين المثقفين الصهاينة والعمال اليهود فيما بين عامى ١٩٠٥ و ١٩٠٦ قد **أصبحت أكثر كثافة** ، أو قد يرجع هذا التغيير الى أن نسبة المثقفين الى العمال فى التنظيمات الحزبية قد سقطت بصورة مثيرة ٠ ولقد تقهقرت انتلجنسيا الصفوة الى الوراء خلال عام ١٩٠٥ ، فى الوقت الذى تدفقت فيه النزعة القتاليه لدى العمال الى الامام ٠ ولقد أضحت القيادات الحزبية أكثر يقينا بأنه ينبغى على رؤساء المراكز الرئيسية للأحزاب أن يتحولوا الى فيلنا Vilna ، وهى مركز حركة العمل اليهودى ٠ وقام أحد قادة العمال من الذين نزحوا من بولتافا Poltava بتفسير كيف أنه فى فيلنا Vilna كان « **يوجد مجتمع مفتوح حافل بالانطباعات الجديدة والتأثيرات ، واننا نشعر بنبض الحركة السياسية وايقاعها** ٠ »

ولقد نزح ـ وفقا لذلك ـ كل من البلاشفة Bolsheviks والناشفة Mensheviks من الشرق الى الغرب ٠ وبعد عام ١٩٠٥ هو العام الذى أضرب فيه أكثر من ( ٥٥٠٪ ) من العمال مطالبين أولا بالمطالب الاقتصادية ثم بعد ذلك ، وذلك بصورة أكثر مما حدث خلال العقد السابق ٠ وفى سبتمبر من نفس العام توقف كل من البلاشفة والناشفة باعتبارهما طائفتين مذهبيتين مثل كل التنظيمات ، ولكنهم انغمسوا فى جذور الطبقة العاملة ٠

ومثلما كان فى عام ١٨٩٠ ، فلقد حدث نوع من التكيف الأيديولوجى Ideological accomodation لمتطلبات اللحظة الراهنة ٠

ولقد صرح لينين Lenin فى نوفمبر أن الظروف قد أدركتها يد التغيير بصورة أكثر مما ورد فى تحليله الذى تضمنه كتابة What is To Be Done ؟ وهو الكتاب الذى أصبح لا يتناسب وظرف العصر • لذلك فلقد نادى لينين Lenin بضرورة انشاء مركز سياسى وثيق الصلة بالشعب ، ثم طالب بالتطبيق الكامل للمدأ الديمقراطى فى التنظيم الحزبى ، بل لقد ذهب أبعد من ذلك حيث صرح أن الطبقة العملة تتسم **بكونها طبقة ديمقراطية اجتماعية** بصورة غريزية تلقائية ، وانه ان المؤكد أن البلاشفة Bolsheviks مازالوا يصرون على أن الجهاز السرى Secret apparatus للحزب قد ظل سليما لم يمس intact ، بينما مارس المناشفة Mensheviks **ضغوطا لتحقيق الشرعية الكاملة للحزب** • ولكن على الرغم من أن البلشفية Bolshevism قد ظلت باعتبارها ممثلة لغالبية الصفوة التى شكلت **الماركسية الروسية** ، الا أن الوضعية التى احتلها لينين قد سمحت له بمراجعة الرؤى البلشفية المبكرة • ولقد بقيت البلشفية ـ بصفة اساسية ـ من الناحية العملية ذات نزعة ديمقراطية ، بينما كانت أعوام ١٩١٢ ـ و ١٩١٤ ، و ١٩١٧ هى الأعوام التى أضحت فيها قوة العمل فى المقدمة • ولقد كانت الحرب الأهلية Civil War ، والغزو الاجنبى سببين قد تضافرا لتحقيق الائتلاف للطبقة العمالية الروسية بعد عام ١٩١٧ ، الأمر الذى جعل الحزب يستبدل نفسه بالبروليتاريا • وهكذا فقد أوشكت على الانتهاء تلك الفترة القصيرة للديمقراطية السياسية التى تبناها الحزب • (Selznick, 1952)

ولاشك أن هذه النزهة الفكرية القصيرة تسمح لنا ان نستخلص انه **لم تكن هناك حتمية لكى تنمو الأوليجاركية فى روسيا** (Cf. Carlo, 1973) **او لم تزن هناك أى حتمية أيضا فى أى مكان آخر سواء** فى العالم المتقدم أو العالم النام • وعلى الرغم من ذلك فلقد ظهرت بدرجة معينة كل من الأوليجاركية والنزعة الصفوية لدى المثقفين Intellectual Elitism بين الأحزاب الروسية الماركسية ، وهو عمل قام به مثقفو هذه الاحزاب اعتمادا على التقلبات Fluctuations التى تحدث عادة فى توزيع القوة

ينطلق كل من التنظيم الخاص بهم ومصدر السيطرة الى قمتهما ، فـــان السياسة الديمقراطية وممارسات هذه الاتجاهات سوف تتضح لدى جماعة المثقفين ، ولكن ندما تكون هذه المؤشرات الخاصه بالمحددات البنائية لقوة الطبقة العامله ( الحجم والتنظيم ، ومصدر السيطرة ــ المترجم ) منخفضة ، فان عملية السيطرة على العمليات الحزبية تصبح مركزة فى ايدى **المثقفين ، هؤلاء الذين يستغلون اى فرصة اكى يقللوا من الدور الذى تضطلع به الطبقة العاملة فى الحركة الثورية** • وقد يلعب المثقفون دورا جيـدا فى اتاحـة بعض الفرص لتحقيق هـذه الالتـواءات الأيديولوجية Ideological twists ، والتحولات العقائدية • ولكننا مهتمون هنا فى الواقع بصورة كبيرة بالبحث عن الأسباب الاجتماعية التى تختفى وراء هـــذه الالتواءات الايديولوجية ، والتعرف على **النتائج** التى ترتبت لى هذه التقلبات Fluctuations أكثر من اهتمامنا بالنتائج الخاصة بالنقاء الخلقى • moral purity

ولم تكن هناك اى مواقع تحول دون تطبيق القانون الحديدى للديمقراطية Iron Law of demojcracy فى روسيا كحالة • ومن المؤكد أن أعمال بعض الباحثين المعاصرين فى البيروقراطية فى الوقت الذى لم يكن فيه أى وضوح لدور المثقفين فى التنظيمات السيسية ، هذه الأعمال لها صلة فى الواقع بعملنا هذا • اننى افكر بوجه خاص فى كل من ليبست Lipset وترو Trow وكولمان Coleman ، عندمـــا قامـوا بدراستهم الانطباعية عن الاتحـا العـــالمى لطبـــــادة International Typographical Union ، كذلك أفكر فى البحث الذى أجراه جولدنر Gouldner (1964) عن البيروقراطية الصناعية بين عمال مناجم gypsum miners ، لقد اكتشف جولدنر Gouldner **أن المستوى العالمى :**

**« من التماسك غير الرسمى بين عمال المنجم ، وان التكامل القائم**

---

* يترجم اصطلاح Typograpy باعتبار اسلوبا خاصا فى الطباعة المترجم •

بين ملاحظى العمل فى المناجم فى هذه الجماعات غير الرسمية ، هذا التماسك يتسم بأنه شرعى ومعزز كما هو الحال عند الاسهام المشترك فى الموقف الخطر ، كما ان هذا المستوى العال من التماسك يسمح بوجود جماعات غير رسمية بين عمال المناجم بصورة أكثر ، فضلا عن أن لديهم مقاومة مؤثرة ضد الجهود الادارية التى تزيد من حدة النظم او تتجه نحو زيادة العملية البيروقراطية ٠ » (Ibid., p. 153)

وبعبارة أخرى ، فلقد تقيدت الأوليجاركية وأعيقت بسبب ذلك المستوى العال للتنظيم الاجتماعى لعمال المناجم ٠ ولقد اشار كل من ليبست Lipset وترو Trow وكولمان Goleman (1956, p. 464) الى ذلك حيث قالوا :

« عندما توجد معارضة فعالة ومنظمة ، فان ذلك يرجع الى أن الادارة المفوضة بصورة اجبارية incumbent administration لم تنجح فى أن تمارس الاحتكار monopoly على مصادر السياسة ٠

٠٠ ان طبيعة الطباعة كمهنة وكصناعة تتجهان الى أن تكونا متاحتين بصورة واسعة أكثر من كونهما حقيقة بالنسبة لغالبية التنظيمات الخاصه بمصادر السياسة الديمقراطية ٠٠ وعندما قام ميتشيل Michels بدراسة هذه العوامل التى تصنع الأوليجاركية فى التنظيمات واسعة النطاق ( الحتمية)، فهذه الدراسة الخاصة والتى كانت استثناء أمريكيا لافتا للنظر بالنسبة للقانون الحديدى للاوليجاركية الذى وضعه ديتشيل ، هذه الدراسة كانت تستهدف تحديد العوامل التى تغذى الديمقراطية فى التنظيمات الخاصة ٠ «Private Organization»

وبالاضافة الى ذلك ، ينبغى أن نذكر أن سيجموند نومان Neumann والقائمة العشوائية الخاصة بالمحددات المتعددة داخل التنظيم الحزبى الداخلى ـ Random List of the multifactored — determinants ، والتى تساعد على تحديد الظروف الخاصة بالعلاقات المعقدة لكل من القادة واتباعهم ، قداتخذت خطامختلفا عمازعمه ميتشيل Michels (1956, p. 408)

ويذكر نومان Neumann ـ من بين عدد من العوامل الأخرى ـ درجة التنظيم ودرجة المشاركة فى العضوية كمتغيرات تظهر فى حالة ما تكون القيم على درجة عالية من السمو ، وتستطيع ـ أى هذه القيم ـ أن تقف فى مواجهة النزعة الأوليجاركية • ولقد لاحظ نومان (Neuman) انه :

**« تظهر مواقع الخطر بالنسبة للديمقراطية الديناميكية عندما يكون لادارة الحزب اليد الطولى الدائمة على الأداة التنظيمية ، ويكون لها السيطرة المطلقة أيضا على المصادر المالية ، فضلا عن احتكارها للقنوات الداخلية للاتصال ، ومن ثم تعمل على خنق كل صوت لدعاية المضادة** Counter propaganda **وتقضى على أية حلول بديلة ، وتحول دون ظهور صفوة أخرى »** (1956, p. 408)

واننا لنؤكد مرة أخرى أن توزيع القوة داخل التنظيمات ينظر اليه هنا باعتباره متغيرا Variable وليس كما نظر اليه ميتشيل Michels فى دراسته عن القانون الحديدى للأوليجاركية •

وانه لأمر ذو قيمه ـ وان كان فعالى فيه ـ بالنسبة لبعض الباحثين ذوى الطموح أن يكتب التاريخ الاجتماعى للاشتراكية خلال هذا المبدأ النظرى • وانه ينبغى ان ينظر الى كل تاريخ من هذا المنظور ( يعنى المنظور الخاص بتوزيع القوة ـ المترجم ) ، ولقد اهتم ـ بقدرما ـ المثقفون فى كل من الاتحاد الفيدرالى البريطانى الديمقراطى الاجتماعى British Social Demogratic Federation ، والجمعية الفابية Fabian Society والرابطة الاشتراكية Socialist League ، وحزب العمل المستقل Independent Labour Party، لقد اهتم هؤلاء المثقفون بالتعرف على الظرف الحاسم decisive Circumstance فى تعميق نزعتهم الأولية نحو الصفوة • ولقد كان عداؤهم للعمال بمثابة عزلة كاملة عن الحياة الاجتماعيه للطبقة العامله • (Young, 1974, p. 136 ; Cf. Caute, 1973)

ولكن ينبغى أن نوضح لماذ حدث بعد اضراب ١٩٢٦ عندما كانت

عضوية الطبقة العامله فى الحزب الشيوعى فى بريطانيا ذات ثقل خاص ، وعندما كانت عضوية المثقفين بدأت فى الظهور ، لماذا بعد كل هذا ، كانت هناك شكاوى قد بدأت تسمع حول أخطار تدهور تلقائية الجماهير ، كذلك شكاوى البعض من أن هناك بعض الدوائر التى تمنع الحزب من أن يكون حزبا للهواه amateurs ، ومن ثم يصبح حزبا للثوريين المحترفيين Professional Revolutionaries (Wood, 1959, p. 168)

ولعل هذا يفسر ما أكد عليه انطونيو جرامشى Antonio Gramsci من ضرورة وجود حزب للصفوة Elite Party للقادة الذين يملكون ارادة الفعل ، بعد فشل الحركات الكبرى للمعارضة الايطالية عام ١٩٢٠ reat Italian Protest movements (Joll, 1977, p. 51)

ويمكن أن يؤدى ذلك أيضا الى مراجعة عاقلة للرؤى الماركسية عن ديمقراطية التحرر الذاتى self-emancipation وحتميته للطبقة العامله عن طريق المثقفين (Draper, 1971) من أمثال شى جيفارا Che Guevara ورجيس ديبراى Regis Debray . فلقد أعلن ديبراى Debray أن **معيشة المثقفين فى الأقاليم مع الطبقة العمالية** ذات النزعة الاصلاحية ، ومع **الفلاحين الذين يتسمون بالجمود هو اعتذار** عن استخدام وظيفة ( **الوكالة** التاريخية ) Historic Vicarship ( يعنى ما ادعاه الماركسيون من أن المثقفين يلعبون دور الوكيل ـ تاريخيا ـ للدفاع عن العمال والفلاحين ـ المترجم) عن طريق تشكيل جماعة كحرب العصابات Guerilla bands فى الاقاليم ، وحينئذ يمكن الاستيلاء على قوة الدولة من النظام المنهار .
(Debray, 1967, pp. 112 and Passim)

وعلى الرغم من أنه كان هناك دعم شعبى للسلوك الثورى لكل المراحل المبكرة للثورة الكوبية Cuban revolution ، الا أنه كان هناك مستوى متواضع من المشاركة الشعبية ( حيث أكد ديبراى Debray ، وكان هناك تأكيد ضئيل على أن نتائج تطور النظام سوف تؤدى الى طريق الديمقراطية السياسية . وعلاوة على ذلك ، وفى ضوء ( قانون البدائل المتكافئة ) .

كانت هناك خطوة نظرية قصيرة Law of equivalent substitutions نحو الارهاب الثورى Revolutionary terrorism عام ١٩٧٠ . فعندما حقن البرتقال بالمواد السامه Poisonous substances فى أسواق أوروبا ، وعندما قتل رئيس الوزراء ، كان هذا كله قد تم باسم البروليتاريا العالمية International Proletariat

وهذه الأفعال وغيرها تحدث دون تدعيم من الطبقة العمالية ، ويرجع ذلك – على وجه الدقة – الى النقص الكلى فى القوة الشعبيه داخل التنظيمات المسئولة عن هذه الأفعال . ولعل هذه الحالات وغيرها يمكن أن تدعم ماذهب اليه لويس فوير Feuer حين صرح بأنه : **عندما يسيطر المثقفون على الحركة الماركسية** ، حيث تصبح النزعه **التسلطية** authoritarianism أكثر وضوحا **بالنسبة للمثقفين** (Feuer, 1969, pp. 56, 60) ومع ذلك ، فان هذا **لايرجع الى طبيعة تسلطية عامة او عالية بالنسبة للمثقفين** (Feuer, 1969, pp. 56, 60) **ولا يرجع أيضا الى القانون الحديدى** للخاص بميشيل ، ولكنه يرجع الى **توزيع القوة داخل أحزاب ماركسيه معلنة** ذاتيا فى فترات تاريخية معينة .

ويتبع ذلك ، وخاصة فى الدول النامية ، **حيث تميل الطبقة العامله والقطاعات التجارية من الفلاحين الى الصغر والى عدم الاعتياد على الاسهام فى السياسة ، ان توزيع القوة داخل التنظيمات السياسية يعمل على تشجيع القيادات المثقفة** – بوجه عام – وهى القيادات التى تعمل وتظهر من الاتجاهات ما قد يضر بتطور الديمقراطية السياسية ( وهذه دون شك الحالة التى وضعناها فى عقلنا عند مناقشاتنا التى قدمناها فى الجزء السابق لهذا الفصل والتى أكد فيها ، ان الافعال الثورية للمثقفين فى المجتمعات النامية غالبا ما يصحبها تدعيم شعبى ، وهو ماحدث فى غالبية ثورات القرن العشرين كالثورتين الروسية والصينية ، ومع ذلك ، فان هؤلاء **المثقفين لم يقتربوا من الاغلبين** ، ولقد ساعدت هذه النظم – على الأقل النسبة للوقت الذى كانت فيه – على ان تكون أكثر ديمقراطية بالنسبة للناحيتين الاجتماعية والاقتصادية )

ومع ذلك ، فان مختلف المزايا ليست مزايا متعلقة بالطابع الديمقراطى او غير الديمقراطى للنظم السياسية لامجتمعات الناميه ، ولكنها مزايا تتعلق باحتمالية قيادة المثقفين لهذه النظم ٠

**أولا :** لقد تواجدت فى دول افريقيا الغربية اعداد قليلة من المثقفين كانت تتاح لهم فرصة احتلال اوضاع مستقلة او مستويات سيسية عليا ، ويرجع ذلك الى أن التعليم الجامعى كان ضيقا قبل الحرب العالمية ٠ وفى الحقيقة ، ان هذا كان نتاجا لهؤلاء الذين أخفقوا فى المدرسة الثانوية ، وهؤلاء الذين فشلوا فى اختيارات القبول بالكليات ، وهم الذين أضحوا الآباء المؤسسين لدولهم ،بينما كان المثقفون مشغولين بدراساتهم ٠ وعندما أتسعت الحقوق الدستورية ( وخاصة حق الانتخاب ـ المترجم ) ٠ Franchise شاملة استقلال نزعة المثقفين نحو احتلال المراكز ذات المستوى الثانى والتى قام بتدعيمها هؤلاء الأشخاص من ذوى التعليم الثانوى الذين **غالبا ما كانوا يتحدثون لغة الشعب** ، وظهروا بمظهر أصحاب المواهب talents وهم الأمر الذىجعل السياسيين غيرالمتعلمين Uneducated Politicians يحصلون على غالبية التدعيم الشعبى (Schachter, 1961, p. 298)

**ثانيا :** ففى كل من أمريكا اللاتينية ، والشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا وأفريقيا السوداء نلاحظ أن **الضباط العسكريين** ـ وليس المثقفين هم الذين **يترأسون نظم أوطانهم** فيما بعد مرحلة الاستعمار post-colonial era أما بالنسبة للمثقفين فانهم يميزون أنفسهم باعتبارهم قادة للحركات القومية Nationalist movements ، والحركات الاشتراكية والشيوعيه Socialist - Communist movements فى العالم النامى ، ومن المؤكد أن لهؤلاء المثقفين درجة متميزه ـ بعد مرحلة لاستقلال Finer 1973 ٠ ولقد أشارت الدراسة الحديثة التى أجريت على مائة وخمس عشر رئيسا فى خمس واربعين دولة من دول افريقيا السوداء وجنوب شرق آسيا ، وهم الرؤساء الذين تولوا مناصبهم ما بين عامى ١٩٥٨ ـ ١٩٧٣ ، فهذه الدراسة قد اشارت الى هذا التحول بصورة واضحة ( يعنى التحول الخاص

بالوضع النسبى المتميز للمثقفين فى الدول النامية بعد الاستقلال ( وان كان هذا الوضع لم يكن بنفس القدر الذى ينبغى ان يمنح للمثقفين ـ المترجم ) • ولقد بلغت نسبة هؤلاء القادة التنفيذيين الاوائل فى هذه الدول وخلال هذه الفترة ٨ر٣٪ من العسكريين من اجمالى هؤلاء القادة الذين أمكن الحصول على بيانات عنهم ، بينما بلغت نسبة القادة التنفيذيين من اصحاب التعليم القانونى واطبى ومن أصحاب المهن الأخرى دقدار ٢ و ٦٥٪ ، ولكن آخر القادة التنفيذيين لنفس الفترة كانت نسبة العسكريين منهم تبلغ ١ر٧٣٪ ، بينما بلغت نسبة المثقفين والمهنيين منهم ٢٣٪ •
Baum and Galiano, 1976, pp. 9, 29)

وفى الحقيقة ان مثقفى الدول النامية يتخطفون خلال الصراع مع القوى العسكرية military Forces • ولقد لاحظ احد الدارسين لمثقفى **امريكا اللاتينية ان « هيمنة العسكريين كانت تعنى الاختاء او الخسوف الكلى** eclipe **لبعض المثقفين وهو الأمر الذى تحقق من خلال ممارسة الضغوط على أنشطتهم • والمثقفون يعدون بالنسبة للعسكرين تجسيدا للشر السياسى**
(Bonilla inlipset Political evil incarnate and solari, 1967, p. 233)
(Milson, 1972, pp. 31-33)

ولقد لاحظ دارس آخر **للمثقفين فى العالم العربى نفس الملاحظات ، حيث ذهب الى ان :**

« التوتر الكثيف بين الجماعتين ( العسكريون والمثقفون ) فى الثلاثينات والأربعينات ، قد حفز المثقفين الى الكفاح تحقيقا للاستقلال ، لان كثيرا منهم كانوا على درجة عالية من النشاط داخل الاحزاب السياسية والبرلمان • ولكن هؤلاء المثقفين سرعان مايهجرون هذه الأنشطة بمجرد قيام العسكريين بالثورات • (Milson, 1972, pp. 31-33)

ويلاحظ موريس جانويتس Morris Janwitz فى تحليله لنمو الوظائف المرتبطة بالقوى العسكرية فى الدول المتقدمه فيما بين أعوام

١٩٦٦ ، و ٧٤ و ١٩٧٥ ، لقد كان هذا النمو سريعا بالمقارنة بذلك النمو الذى حدث فى القوى العسكرية ذاتها ، حيث أشار جانويتس Janowitz **الى أن « المصدر الهام للضغط يستهدف تضخيم اجهزة الشرطة الداخلية ، هذا المصدر هو شبح الطلبة الجامعيين وحقيقتهم ، هؤلاء الطلبة الذين يقومون بالعصيان ». فالنظام يصبح مشغولا بمحاولة التحكم فى الطلبه القائمين بهذه الظواهر الانفجارية** outursts of students (1977, p. 44)

**ليس هناك اى دليل قوى يؤكد تلك النظرة التى تذهب الى أن المثقفين فى الدول النامية ينزعون نحو تكوين طبقات حاكمة** Ruling classes . **ولكن على العكس من ذلك يبدو أن الصفوة المثقفة ، والصفوة العسكرية** military elite . **ودعنى افسر ذلك** : ان الدول النامية من خلال جهودها نحو التصنيع تواجه بمشكلة القيادة . ويؤكد كل من الاستعمار والامبريالية أن كل المشروعات الصناعية والتجارية لا تتحقق الا من خلال السيطرة الاجنبية ، ولكن هناك طبقة تجارية تتسم بالضعف وهى طبقة تتشكل من المواطنين ، وهى عادة ماتكون على صلة وثيقة بمصالح القوى الاستعمارية او الامبريالية ، وهذه الطبقة لا تتخذ موقفا سياسيا ضد الاستعمار أو الامبريالية Anti-Colonialist-oranti-imperialist Political stance ومن الطبيعى أن تقوم القوى الأجنبية تشجيع بعض التطورات الصناعية والزراعية ، ويرجع ذلك غالبا الى أن الطبقة العاملط الوطنية وبعض التجار من المزارعين لديهم ـ على الأقل ـ قوة أكثر من تلك التى تمتلكها طبقة التجار ، ومن المؤكد أن هاتين الطبقتين ـ طبقتا العمال وبعض التجار المزارعين ـ لديهم نزعة ضد الاستعمار والامبريلية ، ولكن التطور الصناعى والزراعى ـ وفقا لذلك ـ يتسم بالانخفاض النسبى . ولاشك أن هاتين الطبقتين لديها من القوه مايمكن أن يزود القيادة السياسية بما يسمى بالاساس التراكمى . لذلك فان مهمة قيادة الاتجاه نحو التحديث Modernity تقع على عاتق جماعات أخرى مع الاهتمام بملاحظة الصفوات المثقفة والعسكرية (Kautsky, 1962, pp. 3-119)

ولكن الصفوات العسكرية تأتى كى تسيطر على غالبية العالم الثالث ، لأن هذه الصفوات تشكل بوجه عام القوى العظمى بالنسبة لهذين النوعين من الصفوات ( المثقفة والعسكرية ـ المترجم ) ان الصفوة العسكرية تشكل **جماعة منظمة منسقة فى المجتمع** ، كما انها تقوم بالسيطرة على **وسائل** القهر means of coercion

(Andreski, 1969, p. 135 ; Finer, 1975, pp. 5 ff ; Janoowitz, 1977, pp. 107-8, 144-146 and Passim ; Lieuwen, pye and Wilson in Johnson, 1962, pp. 133-231-2, 33 and 226-7. and Passim).

ويمكن تطبيق ذلك ـ نظريا ـ بأن نذهب الى انه لكى يتسنى لنا تفسير التقلبات Fluctuations التى يتحول من خلالها المثقفون الى أوليجاركيين Oligarchs فى الاحزاب السياسية ، وفى كل من الحركات والنظم فى اى زمان أو مكان ، لكى يتسنى ذلك ينبغى ان نقوم بدراسة التحولات التى تحدث فى علاقات القوة Power relations دراسة دقيقة ، والعلاقات القائمة بين الصفوة المثقفة والعضوية الجماهيرية من ناحيه ، وبين الصفوة المثقفة والصفوات الأخرى من ناحية أخرى • انه ليس من الحتمى أما بالنسبة لاصطلاح ميتشيل Oligarchs ( ولكن ابسط مناقشتى ) فاننا يجب أن نصرح بأنه ـ أى ميتشيل ـ عندما يقول بالتنظيم من أسفل ، فانما يعنى بذلك التأكيد على الديمقراطية •

اننى أظن أن هناك استنتاجا أقل وضوحا يمكن استخلاصه من المناقشة السابقة والتى اهتمت **بتعيين وضعية المثقف فى البناء الاجتماعى للعالم الحديث** • لقد أشرت فى الفصل الثانى **الى ان المثقفين فى المجتمعات الصناعية المتقدمة لا يمكن** ـ بصورة آلية ـ **أن يكون لهم مكان فى الطبقة العامله او الطبقة المتوسطة** • أما فى هذا الفصل فاننى اضيف **انه ولا حتى مثقفى الدول او المجتمعات النامية يمكن ان يشكلوا طبقات حاكمة** • ان هذا قد يؤدى بسهولة ـ الى استنتاج ـ وفقا لما اشار اليه كارل مانهيم Mannheim من أن المثقف الحديث هو ـ نسبيا ـ شخص **بلا طبقة**

Classless . وفى الفصل التالى سوف **أناقش** هذا الاستنتاج بصـورة كاملة : وانه من غير المتعذر أن نتوصل الى حل لتلك المشكة الخاصـــة **بوضعية المثقف على سلم البناء الاجتماعى ، فضلا عن تتبع العلاقة القائمة بين موقفه من البناء الاجتماعى وطبيعة السياسة التى يتبناها .**



obeikandl.com